

كتاب  
عقيدة أبي الجعلاء

يتضمن بحثاً تاريخياً أدبياً في عقيدة حكيم الشعراء  
« أبي العلاء المرعي »  
ودفع ما نسب إليه من الألحاد والحيد عن الشرائع

« وضعه »

حسين فتوح

سكرتير مدرسة العقادين الاميرية بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة هندية بالموسكى بمصر

سنة ١٣٢٨ هجرية — ١٩١٠ ميلادية

## « المراد الكتاب »

الى من خاض شباب فكره لجج العلوم . واهتدى  
بناقد بصيرته الى غوامض الأمور وعويعس المسائل . فكان  
فيلسوفاً لا يبارى وحكياً لا يشابه

الى من صبر على تجرع النعس . وتجاد على احتمال  
عاديات الأيام . ولم يتضمض لرب الدهر . فكانه الطود  
لا ترحزه انما وصف . أو البحر لا تكدره الدلاء .

الفيلسوف القدير والشاعر الحكيم

## « أبي العمود الحمري »

فهو وان كان شاباً بجسمه . فانه حاضر بروحه . سى  
بآرائه وأفكاره الى هي أس الفضل والحكمة . وأرومة العلم  
والأدب . وجذا من أقدم كتابي إليه . فعنه كتبت وإله  
أهديت . « صبي فترج »

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أنبيائه  
اجمعين . الذين هدوا الناس إلى الحق . وأبعدوهم عن مسالك  
الغواية والضلال . وأخذوا بأيديهم إلى سبيل الرشاد واليقين .  
« وبعد ، فكلمنا صوبت طرفي فيما نسب إلى «أبي العلاء»  
ظلماً وأفكاً . من الأقوال والأحاديث التي تنبؤ عنها الأنظار  
وتعجبها الأسماع . وألقيت بهض الناس ينظرون إليه نظر السخط  
والغضب . وقد عضواً بصرهم عن محكم أقواله . وحولوا أفكارهم  
عن مغازي أشعاره . وصرفوا نظرهم عن مبادئه القوية .  
وأعرضوا عن منازعه الشريفة . وجدت لذلك في مشاعري  
مساءً لما موجهما . وفي نفسي استياءً عظيماً مشجعاً . وقد يشاركني  
في هذا الشهور . نفوس خلصت في هذا الحكيم نيتها .  
وصفت طويتها

لذا طمحت نفسي إلى إظهار حقيقة ججدها المكابرون  
حقداً . وأظناً نورهما المبتلون ظلماً . حتى تنطلق النفوس من

عقال ما خالجهما من الأسي والألم . فالتقيت محاضرة في نادي  
الجزيرة الادبي . ضمنها بحثا في عقيدة أبي العلاء ودفع ما  
نسب اليه من الالحاد والحيد عن الشرائع . ومع ما تركت  
من الاثر الحسن أرائي مضطرا الى نشر هذه المحاضرة بطريقة  
أهم مع التوسع في مواضع منها . على أن كشف بعض ما غمض  
من آثار هذا الحكيم . وأبين شيئا مما استغلق من احواله .  
واستبهم من أخلاقه

فدخلت هذا المضمار مرتاح الوجدان مطمئن النفس  
منتصرا لحقيقة كاد الباطل يحتمها . حتى لا تكفر لهذا  
الفيلسوف صانعه . ولا يجحد فضله . في عصر ساد فيه  
الحق وأخذل الباطل . والله الهادي الى اقوم سبيل .

مسبب فنوع

## تخصيد

لاستقراء تاريخ الأمم أو الأفراد ومعرفة أحوالهم وأخلاقهم وعقائدهم . شرطان يجب أن يتوفرا فيمن أراد سلوك هذا الطريق . بل خلتان ينبغي للإنسان أن يتحلى بهما إذا ما وضع نفسه موضع الناقد البصير . وسجيتان ما اجتمعتا في مخلوق ألا وكانت له حصناً يقيه من الباطل ويعصمه من الزلل . هما التدبر والحكمة

ولم يتناول درة الحق غائص من الناس إلا بالروية والفكر لهذا لا يكفي في معرفة أحوال الأولين النظر في أخبارهم المسطورة نظراً بسيطاً عارياً عن الأناة والتدبر . بل يلزم الباحث أن يجعل هاتين الخلتين نصب عينيه في كل نظرة يلقها على هاتيك الأساطير

كما أنه يتحتم عليه أن يكون ثاقب النظر . بعيد المرى . شديد التثبت . فلا يلبس الحق بالباطل حتى يصل بذلك إلى الصواب وينكب عن الخطل والشطط . ويكون قوله الحجبة الدامغة التي لا يقدح في صدقها

أما إذا اعتمد في معرفة هاتيك الأخبار على مجرد النقل ، ولم يحكم فيها النظر ولم تراعى أحوال الاجتماع الأنسانى لا يسلم فيها من المين وزخرف القول ونخيد عن جادة الصدق

وكثيرا ما وقع المؤرخون فى الألفك والتخرف وتاهت بصائرهم عن بحثه وتفحصه وجرى فى مخيلاتهم مجرى الحقيقة واحتملوا فيه مظنة الصدق فنقلوه الى من بعدهم جزافا غير حاسبين أنهم أرجفوا أرجافا وخاضوا فى الأخبار المفتراة من حيث لا يعلمون

ذلك لأنهم اعتمدوا فى الأخبار على مجرد النقل بغير تحكيم العقل والبصيرة فيها . فضلوا عن الحق وافتروا على الناس الكذب . ونطقوا بطلا

وإذا بحثنا عن سبب هذا الخطأ وجدناه ناشئا من غفلة المؤرخ عن التنقيب وراء هذه الأخبار والبحث عن حقيقةها . وإذا كان هذا حاله فإنه يلقى القول على عواهنه بغير ان يحاسب ضميره على خطأ أو تعمد ولا يطالب نفسه فى الخبر بتوسط أو اعتدال . فان النفس إذا كانت على حال الاعتدال فى قبول

الخبر أعطته حقه من التخصيص والتدقيق حتى يتبين لها صدقه  
من كذبه . أما إذا خامرها شيء من الوهم فأنها تعمى عن الحقيقة  
الناصبة بما داخلها وغشى بصيرتها من الترهات والأباطيل  
فكان واجبا على المؤرخ ان يتدبر ذلك ويجعله تبراساً  
يهتدى به الى حقائق ما يدون من الاخبار ولا يطلق لهواه  
عنايه . ويهيم في بيضاء الضلالة . ويعرض عن الحق ويشترى  
لهو الحديث ليصد عن سبيل الله وانها لصفقة خاسرة

هذا كان نصيب الحكيم أبي العلاء المعري من بعض  
المؤرخين . فان كثيرا منهم لم يذكر أخباره عن المشاهدة او  
السمع . بل نقلها متوها فيها الصدق وبنائها على الظن والتخمين .  
فبينما نجد بعضهم يخبر باختلاف الناس في صحة عقيدته  
نجد الآخر يعرفه بالخيرة فيها والثالث يرجح الحاده . وغيره  
يقطع به ويوردون عنه أموراً وينسبون اليه حكايات ما أنزل  
الله بها من سلطان يحسبونها دليلاً لقولهم وما هي منه في شيء  
مثلها كمثل الذهب الزائف يذهب طلاؤه وتظهر حقيقته عند  
حكه واختباره . كذلك هذه الأمور والحكايات يظهر كذبها

لأول وهلة عند مجرد النظر إليها بين التمثل والحكمة  
 أما هؤلاء المؤرخون فلم يريدوا أن يحملوا أنفسهم عنها  
 التحقق من صدق هذه الأخبار أو كذبها بل نقلوها وهم  
 غافلون كما قدمنا عن الناقد والمتمتع بالأخبار والوقائع  
 وليس الأمر بواقف عند هذا الحد بل الظامة الكبرى  
 التي جلبت على أبي العلاء وضرابه من الأئمة والعلماء وعظماء  
 الرجال ذلك الكذب والتمويه عما هي (الحقد والحسد) تعود  
 بالله منهما . فان النفس اذا خالجا شيئا منها عميت عن محاسن  
 المحسود والمحمود عليه واجتهدت في إصااق التهم والأباطيل به  
 ووجدت منها غطاء كشيئا على عين بصيرتها يحجبها عن  
 الانتقاد والتمحيص

كذلك كان حال أبي العلاء مع بعض معاصريه فانهم لما  
 رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم ولم يبلغوا شأوه فيه . . بل  
 امتاز عنهم وعجزوا عن مجاراته ثم ظهروا الملائمات محطاط مداركهم  
 وتفوقه عليهم في المسكنة والواهب . . حنقوا من جراء ذلك  
 عليه واتقدت نيران الحقد في قلوبهم ثم علا لهيبها الى أفواههم  
 فجعلوا ينطقون بما لا يعنون . وفي ذلك يقول أبو العلاء

تعاطوا مكاني وقد فتهم فما أدركوا غير ملح البصر  
 وقد نجوني وما هجتهم كما نوح الكاب ضوء القمر  
 خالوا أنهم ينالون منه بالقدح في عقيدته . فاتهموه في دينه  
 وأنكروا عليه الأيمان بالرسال والبعث والنشور . وما الدين  
 الا سلاح العاجز عن منازلة قرنه يشهره لدى ضعيفي الأجلام  
 متى تحقق القتل والخذلان ليكون طريقا آخر يدخل به  
 عليهم غائما خافرا . وذلك انما هو تفنن في الشماتة بالمدو والحسد  
 للقرين . . ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا أولئك يعرضون  
 على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا  
 لعنة الله على الظالمين .

واقدمتلى كثير من المؤرخين مثل هذه المفتريات من  
 غير بحث ولا روية ونقلها عنهم الكافة من ضعيفي النظر  
 واندرجت في محفوظاتهم لتكون شاهدا لأبي العلاء يوم يأتي  
 الى ربه شاكيا كذبهم وافتراءهم طالبا الانتصاف من الخصوم  
 فخير بنا ونحن في القرن العشرين عصر النور والعرفان  
 ان لا يظن أبو العلاء مروض الحق بيننا . غير معطى قسطه  
 من الأجلال والاكبار

وقبح بنا ونحن في هذا العصر عصرا العدل والحق أن ندع  
 كلمته التي قالها عن نفسه « أنا شيخ مكذوب عليه » تمر علينا  
 بغير أن نهبا جانبا عظيماً من الالتفات والروية ولا ندفع عنه  
 هذا الكذب والبهتان بالحق الصراح والبرهان  
 فإنه إن جاز لاسلافنا أن يتركوا أبا العلاء مهملاً في زوايا  
 الظلم والافتراء فلا يجوز لنا ونحن الآخذون بتلابيب الحق أن  
 يحرم بيننا انسان من الاعتراف له بأهم شيء في هذا الكون  
 الفاني . ألا وهو صحة الايمان وصدق العقيدة . لا لسبب سوى  
 غل كمن في نفوس دينئة . حتى لا يحق علينا قوله تعالى « يا أيها  
 الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا إن تصيبوا قوماً بجهالة  
 فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

### ﴿ البحث الاول ﴾

« في تاريخ أبي العلاء ودفع ما نسب اليه من اقوال »  
 « المخدبين وغيرها »

والذي يكون البحث في هذا الموضوع على أساس ثابت  
 يحسن أن أذكر موجزاً ترجمة حياته مع اثبات شيء من  
 الأقوال المنسوبة الى أبي العلاء من خصومه ونقلها عنهم

المؤرخون كما أسلفنا بغير مناقشتها أو فحصها . مستشهداً في كذب نسبتها إليه بدفاع المنصفين من المتقدمين عنه وبأقوال أبي العلاء ذاته لتكون بمثابة دفاع عن نفسه يقدمه وهو في قبره الى خير محكمة عرفت بالعدل والحكمة . هي محكمة الضمائر الظاهرة والمقول الراجعة ليكون التحكيم مبنيًا على أساس العدل وأصول الشرائع

« ترجمته الى العلاء المعري »

أبو العلاء هو احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري (١) ولد بعمرة النعمان لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثمانمائة هجرية . مرض بالجذري في السنة الثالثة من عمره فممي منه . غشى عينيهِ يياض وذهبت اليسرى

(١) التنوخي بفتح التاء وضم النون المخففة نسبة الى تنوخ وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر وأقاموا هناك فسموا تنوخاً والتنوخ الإقامة وهذه القبيلة إحدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم يراء وتنوخ وتغيب . والمعري بفتح الميم والعين وتشديد اراء نسبة الى عمرة النعمان وهي بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة وشيزر وهي منسوبة الى النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه فانه سكنها فنسبت اليه

جملة وهو مجدور الوجه نحيف الجسم . قرأ النحو على أبيه بالمعرة  
وعلى محمد بن عبد الله بن أسعد النحوي بحباب . كان متضاماً  
من فنون الأدب واللغة . وله التصانيف المشهورة والرسائل  
المأثورة . فله من النظم ( لزوم ما لا يلزم ) وله ( سقط الزند ) شرحه  
بنفسه وسماه ( ضوء السقط ) وكان علامة عصره وأخذ عنه  
أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ( ١ ) والخطيب أبو زكريا  
يحيى التبريزي ( ٢ ) وغيرها

لما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزي في شرح  
شعر المتنبي وقرئ عليه أخذ الجماعة في وصفه وإطرائه فقال أبو  
العلاء : كأنما نظر المتنبي إلى بلحظ الغيب حيث يقول «

( ١ ) أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي كان أديباً فاضلاً اخبارياً  
محققاً وكان يصحب أبا العلاء وأخذ عنه كثيراً وكانت بينه وبين الخطيب  
أبي زكريا التبريزي مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء المعري وإليه  
كتب أبو العلاء قصيدته التي أولها « هات الحديث عن الزوراء أو هيتا »  
تقلد قضاء عدة نواح وتوفي سنة ٤٤٧ هـ ( ٢ ) أبو زكريا يحيى  
ابن علي التبريزي المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة كانت له معرفة  
تامة بالأدب قرأ على أبي العلاء وغيره من العلماء وكانت ولادته سنة  
أحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي يوم الثلاثاء ليلتين بقينا من جمادى  
الآخرة سنة اثنين وخمسمائة ببغداد ودفن بها .

« أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي واستمعت كلماتي من به عثم ،  
 واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ( ذكرى حبيب )  
 وديوان البحري وسماه ( عبث الوليد ) وديوان المتنبي وسماه  
 ( معجز احمد ) وتكلم على غريب اشعارهم ومعانيها وما أخذهم  
 من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض  
 المواضع عليهم والتوجيه في أماكن خطئهم  
 رحل إلى بغداد مرتين وأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم  
 رجع إلى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه  
 الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل  
 الأقدار وسمى نفسه ( رهن الحبسين ) لازومه منزله ولذهاب  
 عينيه . وكان زاهدا تقيا مكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل  
 اللحم تزهدا اكتفاء باليسير من العدس والشعير وكان لباسه  
 القطن وفراشه اللباد . وكان رحمه الله يقول

أُراني في الثلاثة من سجوني      فلا تسأل عن الخبر النبئ (١)  
 لفقدي ناخري وزوم بيتي      وكون النفس في الجسد الحبيث  
 وكان مفردا في الذكاء شديد الحافظة . عمل الشعر وهو ابن

احدى عشرة سنة وتوفى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمرة . وقد كان على قبره عند دفنه نحو من مائة وثمانين شاعرا ورتاه منهم اربعة وثمانون منهم فقهاء ومحدثون وصوفية

هو ما نسب الى أبي العلاء من الأقوال والمذاهب ذكر عنه بعض المؤرخين انه كان لا يأكل اللحم تدبنا لأنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يعذبوا الحيوان بذبحه وهم لا يرون الأيلام مطلقا في جميع الحيوان . واستشهد بمرثية تليده أبي الحسن علي بن همام القائل منها

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفنى دما  
حيث اعتبر الشطر الأول من البيت اشارة الى ما كان يعتقد  
أبو العلاء من عدم الذبح كما تقدم ذكره

ويجئني في رد هذه العبارة قول العلامة عمر قاضي  
القضاة الشهير بابن الوردي ( ١ ) بعد نقله لمرثية أبي الحسن

( ١ ) هو القاضي عمر بن مظفر بن عمر زين الدين بن الوردي كان اماما فقيها وشاعرا أديبا تفتن في العلوم وله تأليف ثمينة في

« قول تليذه من ترق الدماء زهادة يدفع قول من قال أنه لم يرق الدماء فلسفة ونسبه إلى رأي الحكماء وتليذه أعرف به ممن هو غريب يرمجه بالغيب . وما ذاعلي من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمسا وأربعين سنة زهادة وقد قال المكي ( ١ ) في قوت القلوب « أباحة حلال الدنيا حسن وتزهد فيه أحسن ولما أتى رسول الله أهل قباء بشربة من لبن مشوبة بمسل وضع القمح من يده وقال « أما أني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله تعالى » . وكتب الرقائق وغيرها مشحونة بترك الساف الصالح للشهوات والملاذ الفانية » انتهى قول ابن الوردي

على أن الامتناع عن أكل اللحم مهما كانت الأسباب

التاريخ والجغرافية توفي سنة ٧٤٩ ( وقيل ٧٥٠ ) وكانت ولادته كما قال في تاريخه سنة ٦٩١ هـ بمرة النعمان

( ١ ) هو أبو طالب محمد بن عتي بن عتيبة الحارثي الواعظ كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة وله مصنوعات في التوحيد . كان من أهل الجبل ونسب إلى مكة لأقامته بها وكان يستعمل الرياضة كثيرا حتى قيل أنه هجر الطعام زمانا واقتصر على أكل الحشائش المباحة . توفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثمانمائة ببغداد ودفن بها

الداعية له ليس في ذاته مراعاة يجعل الانسان في مصاف  
 الجاحدين المستكبرين . بل هو عمل قد يؤدي بالانسان الى  
 فضيلة هي تربية النفس على ترك لذاتها وكفها عن الاندفاع في  
 شهواتها بما منحت من سلاح الصبر وقوة العزيمة . ولا ينشأ  
 هذا الاعتقاد في شخص الا خشية من الله ومراقبته لجانب  
 الحق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ازهد في الدنيا  
 يحبك الله .

بيد أنا اذا غضضنا الطرف عن كل هذه الاقوال  
 ورجعنا الى ما اتفق عليه أعداء أبي العلاء قبل محبيه من  
 زهده وعزلته وتمسكنا بقول الأكثرين عنه أنه كان صوفيا  
 ورعا . يتبين أن امتناع أبي العلاء عن أكل الخوم ما كان الا  
 من قبيل الرياضة التي يتخذها المتصوفون وانقطاعهم للعبادة  
 سبيلا الى تهذيب النفس وردعها عن هواها

والذي يدعو الى الغرابة والدهش ان يؤول قول الى غير  
 ما قصد به او تخفى أمور اذا برزت كانت برهاننا ماضيا بين  
 الحقائق ويطمس الأباطيل

ذالك ن الامير با الفتح المعري (١) ممن شاطروا ابا  
الحسن عليا بن همام في رثاء ابي العلاء . فما سمعنا لقول ابي  
الحسن الا تاويلا باطلا ولا لمخنا قول ابي الفتح الا في بطون  
الكتب بعد ما اغفله كثير من المؤرخين ولم يشيروا اليه كأن  
لم يرقهم ان يتصف ابو العلاء بما جاء فيه خوف تجلي تقواه  
وطاعته ( والله اعلم بذات الصدور . )

وهاكم ما قاله الامير ابو الفتح من قصيدة ضويلة  
لو فاضت المهجات يوم وفاته ما استكثرت فيه فكيف الأدمع  
تتصرم الدنيا وتأتي بعده أمم وانت بمثله لا تسمع  
لا تجمع المال العتيد (٢) وجدبه من قبل تركك كل شيء تجمع  
وان استطعت فسر بسيرة احمد تأمن خديعة من يغر ويخدع

(١) هو أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري  
كان من الشعراء المجيدين يستشهد المؤرخون بشعره في مواضع  
كثيرة وكان منقطعا الى دولة آل مرداس بحلب وتوفي في حدود  
الحسماية للهجرة . سمي بالأمير لأنه لما امتدح نصر بن ابي صالح  
بحلب قول له تمن . قال أتمنى أن أكون أميرا فجعله أميرا بحلب مع  
الامراء ويخاطب بالأمير (٢) العتيد . الحاضر المهيأ

رفض الحياة ومات قبل مائة متطوعاً بأمر ما يتطوع  
 عين أسهد للعنصاف وللتقى أبداً وقلب المهيمن يخشم  
 شيم تجمله فهن لجمده تاج ولكن بالثناء يرصم  
 فلو ان هؤلاء المؤرخين فقهوا الى مثل هذا القول او  
 تنبهوا اليه قبل تسجيل هذه الامور على ابي العلاء لما اتسع  
 الحرق الى هذا الحد ولما سيقوا الى الوقوع في هذا الخطأ  
 بقصد او بغير قصد

أما الاشعار المنسوبة اليه فمنها قوله

قام لنا صانع قديم قلنا صدقتم كذا نقول  
 ثم زعمتم بلا مكان ولا زمان ألا فقولوا  
 هذا كلام له خبي معناه ليست لنا عقول

وقوله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله وتزويجه بنتيه لا بنيه في الخنا (١)  
 علمنا بأن الخلق من نسل فاجر وأن جميع الخلق من عنصر الزنا  
 وله

هفت الخنيفة والنصاري ما هتدت ومجوس حارت واليهوده مضلاه

انسان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له  
وله ايضاً

دين وكفر ونبأ تقال وفر      فان ينص وتوراة وانجيل  
في كل جيل الباطيل يدن بها      فبل تفرد يوما بالهدى جيل  
غيره

قران المشتري زحلا يرجي      لا يقاظ النواظر من كراها  
تقضى الناس جيلا بعد جيل      وخلقتم النجوم كما تراها  
تقدم صاحب التوراة موسى      وأوقع في الخسار من افتراها  
فقال رجاله وحي أتاه      وقال الآخرون بل افتراها  
وما حجى الى احجار بيت      كؤوس اختر شرب في ذراها  
اذا رجع الحكيم الى حجاجه      تهاون بالشرائع وازدراها  
وله ايضاً

يد بخمس مئين عمجد وديت      ما بالها قطعت في ربع دينار  
تحكم ما انا الا السكوت له      وأن نعوذ بمولانا من النار  
وهكذا من نظيره هذه الأباطيل التي تشتمز منها القلوب وتنفر عنها  
الخواطر ، فان حكيماً كأبي العلاء عرف بحصافة الرأي والحكمة وحاز  
لا تصافه بهما مكانا عليا وذكر عجيذا طبق الخافقين . لا يتسنى

له ان يهدو في قوله الى هذا الحد الذي يدهوره الى  
الحضيض ويسفل به الى هاوية الاذلال والاحتقار ويعرض  
نفسه الى خطر الظهور بهذه الاقوال الفاسدة وسط قوم جمعوا  
بين شدة البداوة وسذاجة الدين

حكي عن بشار بن برد (١) انه كان صديقا لواصل بن  
عطاء الغزال (٢) قبل ان يظهر بشار مذهبه المكروه فلما  
تتابع على واصل ما يشهد بالحادة قال عند ذلك « أما لهذا  
الاعمى الملهد أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله .  
أما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا المغيرة لارسلت اليه  
من يقر بطنه في جوف منزله على مضجعه او في يوم حفلة ثم

(١) هو أبو معاذ الملقب ( بالمرعث ) يضم الميم وفتح الراء وانشيد  
العين وهو الذي في أدنه رعث وهو القرط . لقب بذلك لانه كان  
مرعثاً في صغره . اصله من طخارستان . وكان اكنه اعمى وهو من  
شعراء الدولة الأموية وعباسية له الرياسة والتقدم بالاجماع على  
محدثي الشعراء . كان يمدح المهدي بن المنصور أمير المؤمنين ومن  
المقربين اليه وتوفي سنة سبع وقليل ثمان وستين ومائة في البطيحة بالقرب  
من البصرة بسبب ضربه بالسياط كما سيذكر بعد (٢) هو ابو حذيفة  
أحد أئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره توفي سنة ١٨١ هـ

كان لا يتولى ذلك الا عقيلي (١) اوسدوسي «  
 هذه أماني واصل بن عطاء نحو بشار بن برد بعدما  
 كان بينهما من الصداقة . ومع هذا فان بشار لم ينج من الجزاء  
 ذلك انه رمى بالزندقة عند أمير المؤمنين المهدي بن  
 المنصور فلم يشفع له تقربه منه أو رياسته على شعراء تلك الدولة  
 بل أمر بضربه فضرب سبعين سوطاً فمات منها على الاثر .  
 فما بال أبي العلاء قد سلم من غوائل ذلك المذهب وقد  
 كان كثير الاعداء والمتحيزين له بالوقية

اللهم ان هذا الدليل على انه لم يتفوه بكلمة زيغ تثبت عليه  
 الاحاد والحيد عن الايمان . ولولا هذا لكان نصيبه ما لحق  
 (بشار بن برد) وعبد الكريم بن ابي العوجاء (٢) وما اصاب  
 صالح بن عبد القدوس (٣) وما وقع الوليد بن يزيد بن عبد

(١) نسبة الى عقيل بن كعب وهي قبيلة كبيرة كان بشار مولى  
 لها . وسدوسي نسبة الى بني سدوس قبيلة كان بشار ينزل فيهم  
 (٢) أمر محمد بن سلمان والي الكوفة من قبل المنصور بالقبض  
 عليه وقتله جزاء الحاد ودرس الاقوال المكذوبة في الاحاديث النبوية  
 (٣) أمر أمير المؤمنين المهدي بقتله على الزندقة وصابه على الجسر  
 ببغداد ردعا لغيره واتعاضاً

الملك من القتل غيلة لتهدك في الاحقاد ولزبدقة وغيرهم  
من المخادين .

وبديهي ان عقابا على هذا النحو من الشدة يمنع بغير شك  
من الجهر بالاحقاد فضلا عن التطرف فيه على النهج الذي زعموا  
ان ابا العلاء سلك سبيله . خينة القتل كما تبين من الامثال  
على ان حكما لم يسبقه احد من الحكماء او الشعراء في  
حكمه العالية وآرائه السديدة . محال عليه ان يغالى في العتو الى  
هذا القدر ويستكبر في التمرد الى حد يغضب الناس اجمعين .  
فيجحد الخالق ويستخف بالاديان وبمقام الانبياء . ويتهاون  
بالشرائع . وينكر الكتب المنزلة . ويصغر من شأن البيت  
الحرام ذلك البيت الذي ذدت العرب عن ذماره في كل  
ادوار حياتهم ومجدوه التمجيد اللائق به

هذا فضلا عن ان امورا كهذه لا يصح صدورها من  
انسان حائز لذرة من العقل والبصيرة . اللهم الا اذا جردناه من  
صفات الانسانية وسلمنا منه كل مميزاتا فصار هو والحيوان في  
مستو واحد يهيم معهما في بيداء حماقة والجهل  
اما وهذا الحكيم من اسمى الناس عقلا وأوسعهم جنانا

وأخاصهم قلباً، فإن العقل والذوق لا يقبلان نسبة هذه المفتريات  
إليه مع ظاهر بطلانها وفسادها

كما أنه إذا أتى الإنسان بنظرة إلى ما افتري عليه من  
الأشعار وقارنها بأقواله الصريحة والمديدة في البعث والنشور  
والزهد والحج . لأيقن أن أبا العلاء الذي سما شعره إلى أعلى  
ذرى الكمال في البلاغة والفصاحة يستحيل عليه أن ينزل إلى  
هذا الحد من السفالة ويقصر في شعره إلى درجة هي منتهى  
الركاكة والابتذال

ولئن قال قائل إن من تلك الأشعار ما هو متناسب  
الفقر. متخير اللفاظ . فإنا لا ننكر أن بين الذين هجوا أبا العلاء  
شعراء مجيدين أمثال ( أبي جعفر (١) البجائي الزوزني) وغيره .  
وهم قادرون على صوغ ما يدعون في قالب من الإبداع وحسن  
التصوير بحيث تجوز به الحياة على قصيرى النظر وضعاف الأحلام .  
بل من ردد قول منصفيه من المتقدمين لا يسهه إلا أن  
يبت بأن كل ما نسب إلى أبا العلاء من هجر الدين والحيد

(١) هو عبد الله بن جعفر البجائي الزوزني كان من مشاهير

الشعراء والادباء . حسن الكاظم توفي سنة ٤٣١ هجرية

عنه وغير ذلك من الأقوال باطل لا محالة في بطلانه ولا مسحة  
عليه من الصحة والاصابة

قال أبو اليسر المعري « إن أبا العلاء كان يرمى من أهل  
الحسد له بالتعطيل ويعمل تلاميذه وغيرهم على لسانه الأشعار  
يضمونها أقوال المخذة قصدا لهلاكه وإثارا لآتلاف نفسه وفي  
ذلك يقول أبو العلاء »

حاول إهواني قوم فما واجهتهم إلا باهواني  
وقولوني بمقالاتهم فغيروا نية اخواني  
لو استطاعوا لوشوا بي إلى المربخ في الشهب وكيوان

\*\*\*

فاذا تبين من قول أبي اليسر ان تلك الأقوال معمولة  
على لسانه ومفتراة عليه ، ولم تنس قول أكثر المؤرخين عنه  
انه قد تلاعب الشعراء بهجائه وتذكرنا قوله عن نفسه  
« أنا شيخ مكذوب عليه » وقول الصاحب كمال الدين بن  
العديم (١) « انه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه فوجد

(١) هو عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب رئيس الشام كمال  
الدين العقيلي المعروف بابن العديم ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة

كل من ذمه لم يره ولا صحبه . ووجد كل من لقيه هو المادح له . . اتضح بأجلى بيان أن إبا العلاء كان هدفاً لسهام الكاذبين والمتحرضين من منافسيه وحاسديه . وتنفض عنه غبار الريب والشكوك . وبرئ من تلك الأقاويل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

### ﴿ المبحث الثاني ﴾

« في الحكايات المكذوبة عليه »

أما الحكايات المختلفة عليه فمنها ما قيل ، أنه لقيه رجل فقال لم لم تأكل اللحم فقال أرحم الحيوان . قال فما تقول في السباع التي لا طعام لها الا الحيوان . فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه . وأن كانت الطباع المحدثه لذلك . فما أنت بأحذق منها ولا أتقن . فسكت .

وقال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني ، قال لي المعري . لم أهج أحدا قط . قلت له صدقت الا الأنبياء . فتغير لونه .

وتوفى سنة ست وستين وسبعمائة . كان محدثاً فاضلاً مؤرخاً صادقاً .  
منشأ بليغا

« ودخل عليه القاضي المناري فذكر له ما يسمعه عن  
الناس من الطعن عليه فقال . مالي وللناس وقد تركت دنياهم .  
فقال له القاضي وأخراهم . فقال . يا قاضي وأخراهم وجعل يكررها :  
وعن أبي زكريا الرازي . قال « قال لي المعري ما الذي  
تعتمده . فقلت في نفسي ( اليوم يتبين لي اعتقاده ) فقلت له ما  
أنا الا شك . فقال لي . وهكذا شيخك : »

\* \* \*

فاذا فرضنا حصول هذه الأحاديث والمناقشات وسلمنا  
بوقوعها جدلا . فإن معاندا يصل به عناده الى حد هجاء الأنبياء  
والشك في اليقين . لا يمكن أن يعي عن رد مثل هذه  
الأحاديث أو يعجز عن الأجابة عليها . مهما كان سقيم الحججة .  
ضعيف الحجاج . خامد الذهن . شأن كل متعنت يزدرى  
بالحق ويتعلق بالباطل و يقيم الأدلة الواهية على اثباته زاعما أن  
الصواب في جانبه . وما هو في الحقيقة الا مكابر جمود . ولم  
ينب عن ذاكرتنا ما كان يجيب به ذوو الادعاءات الفاسدة  
في الازمان الحالية من عبارات السخف والحماقة برهانا لدعواهم  
وتأييدها .

أما وذلك المكابر هو أبو العلاء متين الحجّة سديد  
البرهان الذي ما استظهر على خصومه الا بدليل العقل  
والحكمة فلا تصدق فيه هذه الأحاديث التي لا تنهض من  
رقدة البطلان لما اعترأها من الوهن والأفن

يد أنه اذا كان نصيب ما ذكر عنه من أشعار المحدثين  
الكذب والافتراء . فمن باب أولى أن يكون ماروي عنه من  
الحكايات فاسدا مختلفا وايس في اختلافها عناء او كلفة  
كالأقوال الشعرية . ولذا فاني لا أطيل التعرض الى هذه  
الحكايات أودحض ما فيها من الافتراء الظاهر . فان الناظر  
اليها بعين الحكمة والعدل يميّزها قسطها من الخطأ والغيب  
عند أقل تأمل فيها

بل من قاس الغائب بالحاضر وطابق بين لأجيال  
المتقدمة وحيانا هذا من حيث اختلاف الأكاذيب  
والمفتريات . لوجد ان تلك الايام لم تقوم خاق حاسد . ولم  
تحمّد تلهب حاقه . وأن ما اصاب ابا العلاء من معاصريه  
ومنافسيه يصاب به في وقتنا هذا نابغونا وكبار رجالنا جهلا  
وحقدا ( وهم احياء يرزقون )

ذلك لا احتقارهم ما يأتي به الجهلاء من المنكرات والباطيل  
وانكارهم لما يتمسكون به من الآراء الفاسدة. لا لقصد سوى  
اظهار الحقائق وكبح جماح ذوى المفسد وتهذيب نفوسهم  
حيث يقول ابو العلاء،

أَنْ عَذَّبَ الْمَيَّنَ بِأَفْوَاهِهِمْ      فَإِنْ صَدَّقَى بِفَمِي أَعَذَّبُ  
طَلَبْتُ لِلْعَالَمِ تَهْدِيَهُمْ      وَالنَّاسَ مَا صَفَّوْا وَلَا هُدَّوْا

### ﴿ المبحث الثالث ﴾

في أقواله في شكوى الناس وتذمره منهم ،  
أن أقوال أبي العلاء مفعمة بشكوى الناس وتذمره من  
معاملتهم له وسوء مقاصدهم نحوه وكذبهم عليه وافترائهم . وذلك  
يؤيد النظرية المتقدمة من أن حساده هم الذين اختلقوا هذه  
الأقاويل حيث يقول

ورأى إمام والأمام وراء      إذا أنا لم تكبرنى الكبراء  
بأى لسان ذامنى (١) متجاهل      على وخفق الريح فى ثناء  
تكلم بالقول المضلل حاسد      وكل كلام الحاسدين هراء

( ١ ) يقال ذامه بذمه إذا غابه والذام والذيم العيب وفى المثل

( لا تعدم الحسنة ذاما )

ومن هو حتى يحمل النطق عن غي اليه وتمشي يتشا السفراء  
 وأنى لعمري يا ابن آخر ليلة (١) وأن عزَّ مال غالفنوح تراء  
 ومذ قال أن ابن اللبية شاعر ذوو الجبل مات الشعر والشعراء  
 تساور رخل الشعر (٢) أوليت غايه سماها وائت الناقة المشراء (٣)  
 أتمشي القوافي تحت غير لوائها ونحن على قوتها أمراء  
 وأي عظيم رب (٤) أهل بلادنا فانا على تغييره قدواء  
 وما سلبتنا العز قط قبيلة ولا بات منا فيهم أسراء  
 ولا سارفي عرض السماوة (٥) بارق وليس له من قومنا خفراء  
 ولسنا بفقرى يا طعام (٦) اليكم وأنتم الى معروفنا فقراء

\* \* \*

على أن من البرهين أن أبا العلاء يرى بما نسب اليه

(١) قيل أن المرأة إذا حمت في آخر ليلة من طهرها كان  
 مذموماً وهذا هو الشاعر في قوله « يا ابن آخر ليلة ». (٢) المساورة  
 الموازية. شبه نفسه بالأسد في عرين الشعر (٣) الناقة العشراء هي  
 التي يكون مضى عليها من الحمل عشرة أشهر فتكون مثقلة بالحمل  
 ضعيفة القوى (٤) يقال رأيت منه مر أي رأيت ما يكرهني  
 (٥) السماوة هي مثابة بالبادية معروفة بسماوة كلب (وبارق) أي صحاب  
 ذو بوق (٦) العظنام أو غاد الناس الواحد والجمع فيه سواء

هذه القصيصة الناطقة بتكذيب مادم عليه من الاقوال .  
 المصورة مقدار ما كان بينه وبين منافسيه من البعد والجفاء .  
 والتي يظهر من شديد لهجتها ان ابا العلاء ما نطق بها الا بعد  
 ان طافح كيال صبره . ونفذت حيله في مداراتهم والسكوت  
 عنهم . فكان في ذلك على حد قوله

سفاه زاد عنك الناس حلم      وغى فيه . نعمة رشاد

( وذلك انما عند العجز عن دفع الشر الامن هذا الطريق )

والذي لامرية فيه ان قوما وجهت اليهم هذه الاقوال القارصة .  
 بل السهام القتالة . محال عليهم ان يتركوها تذهب مع الريح دون  
 الانتقام لانفسهم من قائلها . وتطويق جيده باضعاف اضعافها  
 حتى تخف نائرتهم وتهدأ لواعجهم . وتطيب جراحمهم سيما اذا  
 كانوا على ما وصفهم ابو العلاء من الضمة والجرل . وهذه  
 نتيجة محتمة الوقوع اذا هم انسان لدفع طغيان ذوى الجهالة  
 وصد تيار الافاكين الباغين

كذلك قوله من القصيصة المشهورة التي يصف فيها حاله  
 مع معاصريه وحنقهم عليه لما باغه من درجات الرقي والسؤدد  
 والتي مطلعها ( الافي سبيل المجد ما انا فاعل )

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنبي الا العلا والفواضل  
 كآني اذا طات لزمان وأهله رجعت وعندى للانام طوائل  
 وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم بأخفاء شمس ضوءها متكامل  
 بهم الليالي بعض ما انا مضمحل ويشغل رضوى دون ما انا حامل  
 وأنى وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

\*\*

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص وواستغماكم يظهر النقص كامل  
 وكيف تنام الطير في وكناتها وقد نصبت للفرقدين الحبايل

\*\*

اذا وصف الطائي<sup>(١)</sup> بالبحل مآدر<sup>(٢)</sup> وغير قسماً (٣) بالفهاهة باقل  
 وقال السهبي للشمس أنت خفية وقال الدجى يا صبح لولئك حائل  
 وطاوت الارض السماء سفاهة

وفاخرت الشهب الحصى والجنادل (٣)

(١) يعنى بالطائي حتما الطائي الذي سار به المثل في الجود (ومادر)  
 رجل من بني هلال يضرب به المثل في البخل، (٢) هو قس بن ساعدة الايادي  
 كان من حكماء العرب واعقل من سمع به وأما (باقل) فهو رجل من  
 ربيعة وقيل من اياد ضرب به المثل في الهم ففيل (اعني من باقل)  
 (٣) الحجارة

فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدى ان دهر ك هاذل  
وله من قصيدة اخرى

ارى العنقاء تكبر ان تصادا فعاند من تطيق له عنادا

\*\*\*

فظن بسائر الأخوان شرا ولا تأمن على سر فؤادا  
قلو خبرتهم الجوزاء خبرى لما طلعت مخافة أن تكادا

\*\*\*

فأى الناس اجعله صديقا وای الارض اسلكه ارتيادا (١)  
ولوان النجوم لدى مال نعت كفاى اكثرها انتقادا (٢)  
وله

لا تقسنى على الذى شاع عنى ان دنياك معدن الخلاب (٣)  
وله

أراهم يضحكون الى غشا وتغشاني المشاقص (٤) والحظاء  
فلست لهم وان قربوا أيفا كما لم تأتلف ذال وضاء

(١) ارتاد الموضع اذا تحيره لينزل فيه ومنه الرائد الذى يلتمس  
الخصب للقوم (٢) أى نقدا (٣) الخداع (٤) جمع مشقص وهو  
السهم الطويل (والحظاء) جمع حظوة وهى السهم القصير

وله

فلا يفررك بشر من صديق      فان ضميره إحن وخب (١)  
ون الناس حقل أو كبير      يشيب على الغوية أو يشب

وله أيضا

يحسن مرعى لبني آدم      وكلهم في الذوق لا يمتدب  
ما فيهم بر ولا ناسك      إلا إلى نفع له يجذب  
أفضل من أفضلهم صخرة      لا نظم الناس ولا تكذب

وله

نفوس تشابه أصحابها      عتوا في زمانهم إذ عتت  
وما يرتضي اللب عند البيان      لا ما أتوه ولا ما أتت

غيره

يقول لك انعم مصحبا متوددا      اليك وخير منه أغاب (٢) أصبح  
رجوت بقرب من خليك مريحا      وبمدك منه في الحقائق أريح  
إذا أنت لم تهرب من الألس فاعترف

بطلس (٣) تعادى أو تعالب تضبح (٤)

(١) الخديعة (٢) الأغاب الأسد وكذلك أصبح (٣) جمع  
أطلس وهو الذئب الذي في لونه غبرة إلى السواد (٤) ضبعت الخيل

وله

المرء حتى يُغيب الشبح والخلق حيطان لجة لعبت  
 لا تخفان هجوهم ومدحهم ولا تهب أسدهم إذا زاروا (٣)  
 لم يفتنوا للجميل بل جبلوا فمن أبحر (٤) الوداد أنهم  
 أقل منهم شرا ومرزية فليتهم كالبهايم اعترفوا  
 مقتبق (١) وهم ومصطبح (٢) وفي بحار من الأذى سبحوا  
 فانما القوم أكاب نبح وقل تداعت ثعالب صبح  
 على قبيح فما لهم فبحوا لا خسروا عندهم ولا ربحوا  
 ما ركبوا للسرى وما ذبحوا لجا إذا بان زيفهم كبحوا (٥)

وله أيضا

وإذا حسدت فإن شكر فضيلة ان لا تؤاخذ بالاساءة حاسدا  
 ومن الرزية ان تبيت مكافا اصلاح من صحب القرية فاسدا

أسمعت من أفواها صوتا ليس بصهيل ولا حممة

(١) اغتبق الرجل شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشي  
 (٢) اصطبح الرجل شرب الصبوح وهو ما يشرب في الصباح  
 (٣) انزير صوت الأسد (٤) مصدر نجر نجرا ونجارة (٥) كبح الفرس  
 رده بالجام

وقال

يلفك بلفء التمير (١) لفتى وفي ضمير النفس نار تقدا  
يعطيك لفظا لينا مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

وله من قصيدة

وكم من طالب أمدى سيلقى دوين مكاني السبع الشدادا  
يؤجج في شعاع الشمس نارا ويقدح في تلها زنادا  
ويطمئن في علاي وان شسعي (٢) لياثف ان يكون له نجادا (٣)  
ويظهر لي مودته مقالا ويبغضني ضميرا واعتقادا  
فلا وأبيك ما أخشى انتقاصا ولا وأبيك ما أرجو ازديادا  
لي الشرف الذي يطأ الثريا مع الفضل الذي بهر العبادا

وقال ايضا

اذا حان يومي فلا وسد بموضع من الأرض لم يخفر به احد قبرها  
هم الناس ان جازاهم الله بالذي توخوه لم يرهم جهولا ولا حبرا  
يرى عنقا في قرب حي وميت من الانس من حلى سرايرهم خبرا

(١) الناجع من الماء عذبا كان أو غير عذب (٢) الشسع بكسر  
فسكرن قبك العمل (٣) النجاد المرتفع من الشيء

فيا ليتني لا أشهد الحشر فيهم إذا بعثوا شعنا رؤسهم غيرا

\*  
\* \*

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا الحكمة  
عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، وكل هذه  
أقوال هي الحق لا ريب فيه . ممثلة لدرجة سخط أبي العلاء  
على معاصريه وبنغضه لهم . لما كان يصيبه من أذاهم ومكائدهم  
التي قابلها بالأعراض عنهم والتحقير لسيء فعالهم

فاذن من الظلم البين ان نسمع هذه الحقائق الخالصة  
تذكر بيننا ويخالج ضمائرنا في قائلها ريب او يعترضنا في صدقه  
شك ونغض الطرف عن نزعات شريفة سامية ولا ننصف  
صاحبها من ظلم حاق به وأضاليل حامت حوله

### ﴿ المبحث الرابع ﴾

« في زهد أبي العلاء وشي من أقواله فيه »

امتاز أبو العلاء عن سلفه من الحكماء والشعراء بان  
كان زاهدا لا يلوي عن الزهد . وتقيا لا يمل من التقى .  
وورعا لا ينثني عن الورع . وانها لميزة من أجل ما يوفق اليه  
انسان في الحياة الدنيا فقد أجمع المؤرخون على زهده مع

اختلاف مقاصدهم فيه وتضارب آرائهم نحوه . وحسبهم اقتناعا  
بزهدة عزالته عن الناس خمسة وأربعين عاما تاركا الدنيا  
وملاذها الفانية وراء ظهره

فلا جرم إذا أعد لنفسه أفسح مجال في هذا المضمار  
وربت أقواله فيه على من سبقه من الحكماء والشعراء . وكاد  
يحبس شعره ويقصر أقواله على الزهد في الدنيا . والكفر لها  
وذمها . وامتداح الموت والفناء . خلاصا من دناياها ونقائصها .  
وذلك على منوال ما سأذكر من أقواله الكثيرة في هذا  
الصدد . فمن تدبرها وأنعم النظر في مراميها لاطمأنت نفسه  
الى نصرة أبي العلاء ودفع ما رمى به من المين والبطلان وليكن  
هذا خير كفيل بالذود عنه ورد سهوم أعدائه الى صدورهم .

قال رحمه الله من قصيدة مطلعها « لقد آن ان يثنى الجموح لجام »  
وقد تنطق الأشياء وهي صوامت<sup>١</sup> وما كل نطق المخبرين كلام<sup>٢</sup>  
وما الدهر الا دولة ثم صولة وما العيش الا صحة وسقام  
فلسنا وان كان البقاء محببا باول من أخنى عليه حمام  
وحب الفتى طول الحياة يذله وان كان فيه نخوة وعرام (١)

وكل يريد العيش والعيش حثفه      ويستعذب اللذات وهي سمام  
فلما تجلى الامر قالوا تمنياً      ألا ليت انا في التراب رمام

\*\*\*

وقال من القصيدة التي مطلعها « غير مجد في ملتي واعتقادي »  
صاح هذي قبورنا تملأ الرُّحْبُ      ب قايِن القبور من عهد عاد  
خفف الوطأ ما ظن اديم (١) ال      ارض الا من هذه الاجساد  
وقبيح بنا وان قدم العم      د عوان الآباء والاجداد  
سر إن اسطعت في الهواء رويدا      لا اختيالاً على رفات العباد  
رب لحد قد صار لحداً مراراً      ضاحك من تراحم الاضداد  
ودفين على بقايا دفين      في طويل الازمان والآباد (٢)  
فاسأل الفرقدين عن أحسا      من قبيل (٣) وآنسا من بلاد  
كم أقاما على زوال نهار      وأنارا لمدلج في سواد  
تعب كلها الحياة فما أء      جب الا من راغب في ازدياد  
ان حزنا في ساعة الموت اضعا      ف سرور في ساعة الميلاد

(١) اديم الارض وجهها (٢) جمع ابد وهو الدهر (٣) القبيل

ومنها

ظالماً أخرج الحزين جوى الحزن ن الى غير لائق بالسداد  
مثل ما قاتت الصلاة سليماً ن فأنحى على رقاب الجياد (١)  
وهو من سخرت له الانس والجن بما صح من شهادة صا (٢) م  
خاف غدر الايام فاستودع الريح سايلاً (٣) تعذوه در العهد (٤)  
وتوخي له النجاة وقد أيقن ان الحمام بالمرصاد  
فرمته به على جانب الكر سي ام اللهم (٥) أخت الناد

\* \* \*

زحل اشرف الكواكب داراً من اقاء الردى على ميعاد (٦)

(١) قيل ان سليمان عليه السلام لما عرض عليه الحيل اشتغل  
بها ففاته الصلاة فحزن لذلك وغضب لله تعالى فقال « ردوها على »  
فطلق مسحاً بالسوق والاعتناق لانها كانت سبب فوت صلاته وهذا  
تعذيب غير جائز لانه من غير نفع ولا جناية (٢) هذا الماع الى قوله  
تعالى في سورة ص « فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث  
أصاب ». (٣) اشارة الى بعض قصة سليمان عليه السلام حيث ولد له ابن  
فلم يره من عليه من اطرق الآفات فاستودعه الريح لتحضنه وتحميه (٤) العهد  
هي الامطار التي يتبع بعضها بعضاً (٥) ام اللهم . واللهيم . والناد .  
بمعنى الداهية (٦) وعدت الكواكب بالهلاك في قوله تعالى « واذا  
الكواكب انتثرت » وقوله « واذا النجوم انكدرت » .

وانار المريح من حدثان الدهر مطف وان علت في انقاد (م)  
والثريا رهينة بافتراق الس شمل حتى تمد في الافراد

\* \* \*

كل بيت للهدم ما تبني الور قاء (١) والسيد الرفيع العماد  
والفتى ظاعن ويكفيه ظل

السدر (٢) ضرب الاطناب والاوناد (م)

بان امر الاله واختاف الناس فداع الى ضلال وهاد  
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد  
والليب الليب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد (م)  
وله

يا دهر يا منجز ايماده (٣) ومخاف المأمول من وعده  
اي جديد لك لم تبلاه وأنى اقرانك لم ترده (٤)  
تستأسر العقبان في جوها وتنزل الاعصم من فنده (٥)

(١) الورقاء هي الحمامة الضعيفة (٢) جمع سدره وهي شجرة  
النبق (٣) الایعاد يستعمل في الشر . والوعد في الخير (٤) ارداد .  
اهلكه (٥) الاعصم الوعل لانه يعتصم باخيال والفند القطعة  
من الجبل

ارى ذوى الفضل واخذادهم يجمعهم سيلك في مده  
ان لما يكن رشد الفتى نافعاً فغيه أنفع من رشده  
تجربة الدنيا وافعالها حث اخا الزهد على زهده

\*  
\* \*

ان زمانى برزايه الى  
كأئنا في كفه ماله  
لو عرف الانسان مقداره  
امس الذى مر على قربه  
اضحى الذى أجل في سنه  
ولا يبالي الميت في قبره  
والواحد المفرد في حقه  
وحالة الباكي لآبائه  
ما رغبة الحى بابنائهم  
ومجده افعاله لا الذى  
لولا سجايه واخلاقه  
صيرنى أمرح في قدته (١)  
ينفق ما يختار من نقده  
لم يفخر المولى على عبده  
يعجز اهل الارض عن رده  
مثل الذى عوجل في مهده  
بذمه شيع أم حمده  
كالخشد المكث من حشده  
كحالة الباكي على ولده  
عما جنى الموت على جده  
من قبله كان ولا بعده  
لكان كالمعدوم في وجدته

(١) القد . سير يقدر من جلد غير مدبوغ يوثق به الاسير

ومنها

تدعو بطول العمر أفواهنا      لمن تنأهى القلب في ودهِ  
يسر ان مد بقاء له      وكل ما يكره في مدهِ  
افضل ما في النفس يفتالها      فنستعين بالله من جنده (١)  
وأفة العاشق من طرفه      وآفة الصارم من حدهِ  
كم صائن عن قبلة خدهِ      سلطت الارض على خدهِ  
وحامل ثقل الثرى جيدهِ      وكان يشكو الضعف من عقدهِ  
ورب ظآن الى مورد      والموت لو يعلم في وردهِ

\*  
\* \*

سلم الى الله فكل الذى      ساءك او سرك من عندهِ  
لا يعدم الاسمر في غابه      حتفا ولا الابيض في غمده (٢)

(١) انما اراد بجند الله اعضاء النفس وقواها المر كوزه فيها . اى افضل ما  
فى الانسان من الاعضاء الشريفة قد يكون سببا لهلاكه فلربما استحسن  
الانسان بعينه شيئا يعاق به قلبه ويهيم به فيقاسى الشدائد فى  
بغيته ويبقى العطب دون مناله وكذلك يتكلم بما فيه هلاكه كما قيل « ان  
البلاء موكل بالمنطق » يفسر هذا البيت الذى بعمده (٢) الاسمر فى غابه  
هو الرمح فى منبته والابيض فى غمده هو السيف فى غلافه

وله من قصيدة

تأملنا الزمان فما وجدنا إلى طيب الحياة به سبيلا  
ذر الدنيا إذا لم تحظ منها وكن فيها كثيراً أو قليلا

وله من قصيدة يرثي فيها بعضهم

ان الصروف كما علمت صوامت<sup>١</sup> عنا وكل عبارة في صحتها  
متفقه الدهر ان تستفته<sup>٢</sup> نفس امرئ عن جرمه لا يفتها  
وتكون كالورق الذنوب على الفتى ومصابه ربح نهب لحها (١)  
جازاك ربك بالجنان فهذه داروان حسنت تغرب لسحتها (٢)

وله من قصيدة يرثي أباه

على أم دفر (٣) غضية الله انها لأجدرا نثي ان نخون وان نخنى  
كعاب (٤) دجاها فرعها (٥) ونهارها

محيا لها قامت له الشمس بالحسن

(١) الحت هو الحك والقشر. مثل الذنوب باوراق الشجر والمصيبة  
بالربح التي تحت الورق اي ان المصائب كثارات للذنوب (٢) الحت  
الحرام وهو من فولهم سخته الله وأسخته اذا محقه (٣) كناية عن  
الدنيا لان سحتها حجة الثا في الحياة وقلة الوفاء (٤) الكعاب الجارية  
التي كعبت ثديها (٥) شبه الدنيا بالكعاب وجعل الليل شعر رأسها  
والنهار وجهها المضيء وشمس النهار حسن وجهها

رأها سليل الطين (١) والشيب شامل لها بالثريا والسما كين والوزن  
 زمان توت وأدحواء (٢) بنها وكه وأدت في أرحواء من قرن  
 كأن بنها يولدوت ومالها

حليل (٣) فتحشى العار إن سمحت باين  
 جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذى يراد بنا والعلم لله ذى المن

\*\*\*

وما قارنت شخصاً من الخاق ساعة  
 من الدهر الا وهى أفتك من قرن (٤)  
 وجدنا أذى الدنيا لذيذا كأنما  
 جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجنى  
 وله وهو أبلغ

وديانا التى عشقت وأشقت كذلك العشق معروفًا شقاء  
 سألتها البقاء على اذاها فقالت عنكم حظر (٥) البقاء  
 بعدد واقم فتى التمدانى وبين شاسع فتى اللقاء

(١) سليل الطين . هو آدم جعل الدنيا كعابا لسحابة الغدر والحياة الا  
 انها قديمة العهد اذ كان المشيب شاملا لها فى عهد آدم وجعل النجوم  
 اللامعة فى السماء شيئا للدنيا (٢) الواد دفن البنت حية (٣) الزوج  
 (٤) الذى يقارنك فى القتال (٥) منع

ودرءك إن وقتك سهام قوم فها هي من ردى قوم وقاء  
 ولست كمن يقول بغير علم سواء منك فتك واتقاء  
 فقد وجبت عليك صلاة ظهر إذا وافاك بالماء السقاء  
 لقد أفنت عزائمك الدياجي (١) وأفراد الكواكب ارفقاء  
 فيا سربي لتدركنا المنايا ونحن على السجية اصهداء  
 أرى جرع الحياة أمر شيء فشهد صدق ذلك اذ تقاء

\* \* \*

ولو لم يكن من قوله في الزهد الا البيتان الأخيران لكفى بهما  
 دليلا على زهده وانقطاعه عن كل ما هو عرضي حيث يدل  
 الاول على مقدار شوقه الى ورود حياض المنايا . والثاني يشير  
 الى مرارة كأس الحياة في ذوقه . مشبها اياها بان يتجرعها  
 الانسان انفاسا ثم اذا مات كأنه يتقيأها وهنا تظهر مرارتها

وقال

يدل على فضل المات وكونه اراحة جسم ان مسلكه صعب  
 لم تر ان الحميد تلقاك دونه شدا تدمن امثالها وجب الرعب  
 اذا افترت اجزاؤنا حط ثقلنا ونحمل عبثا حين يلتئم الشعب

وله أيضا

رغبنا في الحياة لفرط جهلنا      وفقد حياتنا حظاً رغبنا  
شكا خزر (١) حوادثها وليت      فمأزحم الزئير ولا الضفيع (٢)  
شهدت فلم أشاهد غير نكر      وغيبني المنى متى أغيب

وقال أيضا

قد يسروا الدفين حان مصرعه      بيتنا من الخشب لم يرفع ولا رحبا  
يا هوؤلا، أتركوه والثرى فله      أنس به وهو أولى صاحب صحبا  
وانما الجسم ترب خير حالته      سقيا الغمام فاستسقه واله السحبا  
صار البهيج من الأتوام خط سنى (٣)

وقيد يراع اذا ما وجهه شحبا (٤)

وله أيضا

اين الثرى للجسوم خير      من صحبة العالم الجفافة  
قد خفت (٥) القوم فاستراحوا      آه من الصمت والخفافة  
لم يبق للظاعنين عين      تبكي على الاعظم الرفات

(١) ذكر الاوانب (٢) صوت الذكور من الأرانب (٣) السنى

اسم ما تسفبه الريح من التراب (٤) تغير (٥) حفت الرجل خفانا اذا  
مات خفاة

أرى انكفاتي (١) الى المنايا أغنى عن الأسرة الكفاة (٢)  
 أثبت لي خاتما حكيمًا ولست من معشر نفاة

وقال

لا يرهب الموت من كان امرأ فطنًا فان في العيش ارزاء وأحداثا (٣)  
 وليس يأمن قوم شر دهرهم حتى يحلوا بطن الأرض أحداثا  
 أغنى الانام تقى في ذرى جبل

يرضى القليل ويأبى الوشى (٤) والتاجا

وأفقر الناس في دنياهم ملك يضحى الى اللب (٥) الجرار محتاجا  
 وقد علمت المنايا غير تاركة لينا يخفان (٦) اوظيبا بقر تاجا (٧)

وله

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة مخشية لاعتراها القوم أفواجا  
 وكان من ألفت الدنيا عليه أذى يؤمها تاركا للعيش أمواجا  
 كأس المنية أولى بي وأروح لي من ان اكابد اثناء واحواجا  
 في كل ارض صروف غير هائلة يامين بالناس افرادا وأزواجا

(١) انكفت الشيء انضم وكفته ضمه (٢) من كفاه شر عدوه وغيره  
 (٣) أحداث الدهر نوابه (٤) نوع من الثياب (٥) الجيش ذو الجلبة  
 والكثرة (٦) ارض كثيرة الأسود (٧) موضع تنسب اليه الغزلان

وقال أيضا

كفى حزنانا الذي بعد سومه (١)      تقول له الأيام في جدث لبح (٢)  
وكم وضعت أقدامنا في ترابها      جبين أخي كبر وهامة أبلج (٣)

غيره

ما عدل الموت من آت وأستره      فهيجيني فاني غير محتاج  
العيش أفقر منا كل ذات غنى      والموت أغنى بحق كل محتاج  
إذا حياة علينا الأذى فتمت      بابا من الشر لاقاه بار تاج (٤)

غيره

إذا ما مضى نفسٌ فاحسبته      كالخيط من ثوب عمر نهج (٥)  
وان هاجك الدهر فاصبر له      وعش ذا وقار كأن لم تهج  
فكم جرة خمدت فانقضت      وكان لها منذ حين وهج  
فيا قائد الجيش خفض عليك      في غير حظك يعلو المهج (٦)  
زمان حباك قليل العطاء      ما زال يكثر أخذ المهج  
فلا تود أنفسنا حسبنا      قضاء له بأذانا لهج (٧)

(١) من سوم الرجل إذا تركه وما يريد (٢) فعل امر من وجَّ  
أي ادخل (٣) هو المشرق المنضي (٤) مصدر أربح الباب إذا أغلقه  
(٥) نهج الثوب خلقه وبلى (٦) الغبار (٧) المهج بالشئ الولوع به

اعن با كيا لج في حزنه وسن ضاحك القوم مم اتهج  
وعالمنا المنهى كاصي قيل له في ابتداء تهج

وله

اصاح هي لدنيا تشابه مية ونحن حوالها الكلاب النواج  
فمن ظل منها آ كلا فهو خاسر ومن عاد عنها ساغبا (١) فهو راج  
ومن لم تبيته (٢) الخطوب فانه سيصعبه من حادث الدهر صابح

وله

تجمع أهله زمرا اليه وصاحت عرسه (٣) أودى فصاحوا  
تخاطبنا بافواه المنايا من الايام السنة فصاح  
نصحتكم أهينوا أم دفر فما يبقى لكم منها نصاح (٤)

وقال ايضا

يكون أخو الدنيا ذليلا موطأ وان قيل في الدهر الأ مير المؤيد  
ولا بد من خطب يصيب فواده بسهم فيضحى الصائد المتصيد  
بقيت وان كان البقاء محببا الى ان وددت العيش لا يزيد

(١) اي جئنا من سغب (٢) بيت العدو اوقع بهم ليلا وبيت  
امرا دبره ليلا (٣) العرس امرأة الرجل . وأودى . هلك (٤) النصاح  
بكسر النون (الحيظ الذي يخاط به )

وسرت وقيدي بالحوادث محكم  
وما العمر الا كالبناء فان يزد  
كساربيت الشعر وهو مقيد (١)  
على حده يهوى الرفيع المشيد

وله

عرفت سجايا الدهر اما شروره  
اذا كانت الدنيا كذك تخافها  
وقدنا ولم نملك رقاداعن الأذى  
فلا يرهبنا الموت من ظل راكبا  
وكم أذرتنا بالسيول صواعق

وله

ألا انما الدنيا نحوس لأهلها  
يوصي الفتى عند الحمام كأنه  
وما يأسى من رجعة نفس خاعن  
تسير بنا الايام وهي حثيثة  
فما خشيت في السير زلة عائر

وله

أودع يومي عالما ان مثله  
ان مر عن مثلي فليس يعود

(١) المقيد من الشعر الساكن الروي

وما غفلت العيش لا مناحس وان ضن قوم أنهن سمود  
 كأنني على العود (١) تركوب معجرا إذ نص حرباء الظهيرة عود  
 سرى الموت في الظماء والنوم في الكرى وقم على ساق ونحن تعود  
 وتلك لعمر الله أصعب خصة كأن حدوري في التراب سمود  
 وان حياتي الدنيا سخابة وان كلامي للحمام رعود  
 ينجز هذا الدهر ما كان موعدا وتمطل منه بالرجاء وعود  
 وقال

أسر ان كنت محمود على خلق ولا أسر باني الملك محمود  
 ما يصنع الرأس بالتيجان يمتدها وإنما هو بعد الموت جامود  
 وقال أيضا

سلوا معشر الموتى لذي جاءوا هذا اليوم يخبر فيواقر بكم عهدا  
 يحدثكم ان البلاد مقيمة  
 على ما عهدتم ذلك المفضب والوهدا (٢)

وتم تفتأ الدنيا تفر خيلها وتبدله من ثمض أجناسها شهدا  
 تريبه لدجى في هيئة النور خدعة وتطاعمه صابا (٣) فيحسبه شهدا

(١) العود بفتح العين وتسكين الواو الجمل المسن والركوب بفتح الراء  
 الذي يركب (٢) الوهد الأرض المنخفضة (٣) الصاب عصارة شجر مر

وقد حملته فوق نعرش وطالما

سرى فوق عنس (١) أو علا فرسا نهدا (٢)

ولم تترك من حيلة لتفره ولم يبق في اخلاصه حبها جيدا

وقوله

نادى حشا الأم بالطفل الذي اشتمت

عليه ويحك لا تظهر ومث كذا

فان خرجت الى الدنيا لقيت أذى

من الحوادث بله (٣) القيظ والجمدا (٤)

وما تخلص يوما من مكارها وانت لا بد فيها بالغ أمدا

ورب مثلك وافاها على صغر حتى أسن فلم يحمد ولا حمدا

لا تأمن الكف من أيامها شللا ولا النواظر كفا (٥) عن أو رمدا

فان أبيت قبول النصح معتديا فاصنع جميلا وراع الواحد الصمدا

فسوف تلقى بها الآمال واسعة اذا اجزت مدى منهار أيت مدا

وتركب اللج تبغى ان تفيد غنى وتقطع الارض لا تلقى بها أمدا (٦)

(١) العنس بتسكين النون الناقة الصلبة القوية (٢) الفرس الجميل

الجسيم المرتفع (٣) اسم فعل مسناه دع (٤) الحمد الثاج (٥) كف

البصر عماء (٦) التمد الماء القليل لا مادة له

وان سعدتَ فما تنفك في تعب وان شقيتَ فن للجسم لو همدا  
ثم المنايا فاما ان يقال مضى ذميم فعل واما كوكب خمدا  
والمرء نصل حسام والحياة له سل وأصون للهندي ان خمدا  
فلو تكلم ذاك الطفل قال له اليك عنى فما أنثت معتمدا  
فكيف أحمل عتبا أن جرى قدر على أدرك ذاجد ومن سمد (١)

وقوله

مملت عيشي فعوجى يامنية بي وذقت فنيه من يؤس ومن رغد  
غدى سيوجد أمسى لا ينازغنى  
فى ذاك خلق وأمسى لا يصير غدى

وقوله

تلقب ملك قاهرا من سفاهة ولله مولا الممالك والقهر  
أتعضب ان تدعى ليها مذمما وحسبك لو ما ان والدك الدهر  
تزوج دنياه النبي مجهله فقد نشزت<sup>(٢)</sup> من بعد ما قبض المهر  
تطهر بعد من اذاها وكيدها فتلك بنى لا يصح لها طهر  
وله

وكانما دنياك رؤيا نائم بالعكس فى عقبى الزمان تعبر

(١) سمد (لعب ولها) (٢) نشزت المرأة استعصت على بعابها وأبغضته

فاذا بكيت بها فتلك مسرة  
سر الفتى من جهاه بزمانه  
واذ ضحكت فذلك عين تعبر  
سرا لفتى من جهاه بزمانه  
وهو الأسير ايوم قتل يصبر (١)  
لعبت به أيامه فكانه  
حرف يلين في الكلام وينبر (٢)  
عجز الاطبة عن جروح نواب  
ايست بغير قضاء ربك تسبر (٣)  
والمين أغلب في المعاشركم الخ  
للدفر (٤) وهو اذا سمي العنبر

وقال أيضاً

لقد أصبحت دنياك من فرط حبها  
ولو ظهرت أحداثها لسمعتها  
ترينا كثيراً من نوائها نورا  
تعيظ او عاينات أعينها خزرا (٥)  
تواصلنا رميا وتوسعنا أذى  
وتقتلنا ختلا وتلحظنا شزرا  
ولا ريب عند اللاب في ان خيرها

بكي (٦) وان أمست مصائبها غزرا

وقال أيضاً

هو البر في بحر وان سكن البرا اذا هوجاء الخير لم يعدم الشرا

- (١) يصبر الانسان وغيره على القتل حبسه ورماده حتى يموت  
(٢) اي بهمز (٣) سبر الجرح وغيره افتحن غوره ليتعرف مقداره  
(٤) اي اللين (٥) الخزر ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخر عينه  
(٦) بكي

وهل تظفر لدنيا على عنة      ومنساء في النفس اضعاف ماسرا  
 يلاقى حليف العيش ما هو كارهة      ولو لم يكن الا لهو اجر والقرا  
 نواب منها عمت الكعبن والنتى      وفضل نوري والشيوخ والعبدوا حرا  
 اذا وصلت بالجسم روح فانها      وجثمانها تصلى الشدائد والضرا  
 وقال ايضا

أما الحياة فقفر لا غنى معه      والموت يعنى فسحان الذى قدرا  
 لو أنصف العيش بتدغم صحابته      وما غدروا لو امكن عيشنا غدرا  
 وقال ايضا

تباركت ان الموت فرض على النتى      ولو انه بعض النجوم التى تسرى  
 ورب امرى كالنسر فى العز والاعلا

هوى بسنان مثل قادمة النسر (١)

وهون ما تلقى من البؤس أننا      بنو سفر او عابرون على جسر  
 وما يترك الانسان دنياه راضيا      بعزوا لکن مستتضاما على قسر (٢)

قال ايضا

تخوفنا من ام دفر خديمة      ومكرا فيم تذر الدموع ولم نذر

(١) السنان زج لرش او هو نفسه والمراد بقومة النسر ريشته

المشبه بها السنان (٢) القهر

عدمناك دنيا ناعلى السخط والرضا فقد شفتنا (١) زرع تكوّن من بذر  
وانا لعذريون فيك من الهوى واسنا بعذريين فيك من العذر  
وقال ايضا

ومن هوى الدنيا الكذب فانه رهين بثوبى ذلة وصغار  
اذا هي جادت خسرت واذا اُبت

فكم حسرت (٢) من جلة (٣) وصغار

وقال ايضا

غدت دار الشرور ونحن فيها فمن يهدى الى دار السرور  
لقد بدلت حالا بعد حال فصرت الى الغرور من الغرور  
فصبرا ان امرّ عليك عيش فانك في المقام على المرور  
وله

تخيم يا ابن آدم في ارتحال وترقد في ذراك وانت سارى  
ويأمل ساكن الدنيا رباحا وليس الحى الا فى خسار  
وقال ايضا

الى مّ أجر قيود الحياة ولا بد من فك هذا الأسار  
ودنياى ان وهبت باليمين يسار الفتى أخذت باليسار

فلا تقبطن بعض خدامها  
قدمنا اليها على رغمتنا  
فكاهم دائب في خسار  
فلا تأمنن ان وفد الحمام  
ونخرج من ضنكها باقتسار  
فتى يتنادى حنانى الزمان  
غاد على مهج القوم سارى  
وما بعد ذلك الا انكسارى  
فطورا تجيش غمار المياه  
وطورا تصادف ذات انحسار

وقال ايضاً

لحالك الله يا دنيا خلوبا (١)  
وجدناك الطريق الى المنايا  
فانت الغادة البكر العجوز  
وقد طال المدى فتى نجوز  
سئمتنا من اذاك فنجزيها  
فان مروءة الوعد النجوز

وقال ايضاً

لكون خاك في رمس اعزله  
الملك يحتاج الالفا لتنصره  
من ان يكون مليكاً عاقداً التاج  
والموت ليس الى خالق يحتاج

\*  
\*  
\*

اذا كنت قد اطلت في سرد أقوال ابى العلاء في الزهد فذلك  
لغزارة ماجاء فيها من الحكيم البالغة والموعظة الحسنة . ولانها  
تدفع بالنفس الى خوف مقام ربها وتنهاها عن ملازمة هواها .

(١) من خلبت المرأة قلب الرجل (اذهنته)

فهي اذا جديرة بان يمثل الانسان بها في كل آونة من حياته .  
حتى تبتمد النفس عن التعلق بما لاذها . وتناهى عن كل ما هو  
عرضي زائل يجرها الى الدمار والخسران . وتتقرب الى ما فيه  
حياتها الأبدية وسعادتها السرمدية

### ﴿ المبحث الخامس ﴾

« في ايمانه بالرسول واعترافه بالكتب المنزلة »

اذكر من أقواله في الرسل بعضاً من نظمه في قصيدتين  
مدحاً في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو كاف لان  
يزيل عنه أثر الريب والشك ويقطع ما تقول به اعداؤه من  
جمعد الرسل والكفران بهم . قال رحمه الله

با ابن الذي باسانه وبيانه هدى الانام ونزل التنزيل  
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدمه التوراة والانجيل (١)  
وليس ابو العلاء في هذين البيتين مؤمناً بالرسول فقط بل ومعتزفاً  
بالكتب المنزلة التي أنكر عليه الاعتراف بها فيما اخفق عليه من

(١) يدل على بشارة التوراة به قوله نعملى حكاية عن اليهود

« فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ودل على بشارة الانجيل قوله

« .. »

الأقوال . وكذلك يؤيد هذا الاعتراف البيتان الآتيان

كتاب محمد وكتاب موسى ونجیل ابن مریم والزبور  
 نبت إنما فما قبلت وبارت (١) نصيحتها فكل القوم بور (٢)

وقال ايضاً

وجمال الأوان عقب جدود كل جسد منهم جمال أوان  
 يا ابن مستعرض الصفوف ببدر وبيد الجموع من غطفان (٣)  
 أحد الخمسة الذين هم الأراض في كل منطق والمعاني  
 والشخص التي خافن ضياء قبل خلق المريح والميزان (٤)  
 قبل ان تخلق السموات او تؤمر أفلاكهن بالدوران (٥)  
 لو تأتي (٦) لنطحها حمل (٧) الشرب تردى عند رأسه الشرطان (٨)

(١) بار المتاع كسد وبار عمله بطل (٢) البور الرجل الفاسد  
 الهالك لا خير فيه . يستوي فيه المثني والجمع والمؤنث . قال تعالى  
 « وكانوا قوماً بوراً » (٣) اسم قبيلة (٤) هذا البيت اشارة الى سبق  
 الارواح في الوجود قبل الاجساد كما جاء في الحديث « خلق الله  
 الارواح قبل الاجساد » (٥) اشارة الى ايجاد النفوس في عالم النذر  
 عند خطاب « ألسن بربكم » (٦) تعرض (٧) اي برج الحمل  
 (٨) الشرطان هما الكوكبان المضيئان يقال لها قرنا الحمل

او أراد السماء (١) طعنا لها كما دكسير القناة قبل الطعان

\* \* \*

وهذه أقوال لا تشير فقط الى اعترافه بالرسول والكتب المنزلة  
بل تثبت صراحة صدق عقيدته وقوة ايمانه . تولاه الله بالثبوت  
وأجزل عليه الرحمة والغفران

### ﴿ البحث السادس ﴾

« في ايمانه بالبعث والنشور »

اذا تأملنا في حجج بعض القائلين بانكار ابي العلاء  
للبعث والنشور نجد ان اوجه دليل اتخذه برهاننا لهم على هذا  
ينحصر في بيتين نسبا الى ابي العلاء وهما  
ضحكنا وكان الضحك مناسفاة وحق اسكان البسيطة ان يبكوا  
يحطمتنا ريب الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعادله سبك  
فاذا لم تكف انفسنا البحث في صحة نسبتها اليه من عدوه ولم  
نجزم ببعدها عن ابي العلاء كسابقهما من الاقوال ونظرنا اليهما  
نظرة مستطلع مقزاهما . لوجدنا ان الشطر الأخير من البيت

(١) السماء نجم . وهو على نوعين سماك راح ( اي الذي له ربح )

الثاني الذي اعتبر فيه الزيف والبعد عن الايمان بالبعث والنشور  
لا يمكن ان يستدل منه بأي حال من الاحوال ان ابا الملاء يقصد  
الدار الاخرة كما زعموا . بل الذي يتبادر الى الذهن ان القصد  
من عدم اعادة السبك هو استحالة رجوعنا الى هذه الدار  
الفانية مشبهها فناء الانسان من الدنيا بزجاج لا يجبر ولا يعادله  
سبك وفي ذلك يقول ابو الملاء

نفس تحس بامر أخرى هذه جسر إليها بالخاوف يعبرُ  
من للدفين بان يفرج لحدهُ عنه فينهض وهو أشعث أغبر  
والدهر يقدم والمعاشر تنقضي والعجز تصديق بين يخبر  
زعم الفلاسفة الذين تنطسوا (١) ان المنية كسرهما لا يجبر  
قالوا وآدم مثل أوبر والورى كنباته جهل امرؤ ما أوبر  
كل الذي تحكون عن . ولا كم كذب أناكم عن يهودي مجبر (٢)  
رامت به الأخبار نيل معيشة في الدهر والعمل القبيح يتبر (٣)  
وهذا رد منعم على من اعتبروا ابا الملاء دهرانيا لا يعترف  
بعث او نشور ويدحض حججهم التي عولوا عليها في اثبات

(١) تنطس الرجل تأنق في جميع الامور (٢) اي يحسن من

التحبير وهو التحسين (٣) يقال بتره اذا كسره وأهلكه

زعمهم الموهوم. فان اقوال الانسان وآراءه هي التي تبين عن حقيقة  
اعتقاده. وتنبئ عن مذاهبه ومبادئه. وتشف عن ميوله ومراميه .  
وعلى هذا الاعتبار كان اعتمادني في البحث في عقيدة ابي العلاء فانه  
اقرب طريق الى التماس الحقيقة من مصدر صدق لا تخال في فيه .  
اذ من الظالم ان يؤخذ انسان على كلمات واهية اختلفت  
عليه وشك في صدقها ويضرب بحجته في نفها عرض الافق .  
او لا يلتفت اليها مع انها حقيقة ثابتة لا يتسرب اليها الباطل  
من بين يديها ولا من خلفها .

فقد افعمت اقوال ابي العلاء بالاعتراف بالبعث والنشور  
وتعددت مع الصراحة التامة والافصاح الذي يقطع سبيل  
التأويلات والاراجيف ولا يذر في الضمائر اي شك في صدق  
عقيدته وصفاء نيته وهما كم البيان

قال من قصيدة

خلق الناس للبقاء فضلت امة يحسبونهم للنقاد  
انما ينقلون من دار اعمى الى دار شقوة اورشاد (١)

(١) اي بالموت تبدل للدار فنقل من دار الاعمال الى دار

السعادة وهي الجنة او الى دار الشقاوة وهي النار

فتبوءة موت رفيدة يستريح ل جسم فيها والعيش مثل السماد (١)

ومنها

قد أقر الطبيب عنك بجز وتقضى تردد العواد

ونتهى اليأس منك وستشعر لوجود بن لا معاد حتى المعاد

وله من قصيدة

فيا وحي ان فاتني بك سابق من الدهر فلينعم لسالك البال

فان استطع في حشر آتلك زائر وهبهات لي يوم القيامة أشغال (٢)

وله من قصيدة يرثى نباه

سألت متى للقاء فليل حتى يقوم الهامدون من الرجام (٣)

فايت أذنين (٤) يوم الحشر نادى فأجهشت (٥) الرمام الى الرمام

وله

واقعد نصحتني في المقام بارضكم رجال ولكن رب نصيح مضيع

فلا كان سيرى عنكم رأي ملحد يقول يأس من معاد ومرجع

(١) شبه موت رفيدة والعيش بعد البعث بالانبات من النوم

(٢) يستبعد زيارة وطنه حتى يوم الحشر لكثرة الأشغال به عملا

بقوله تعالى « لى امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » (٣) الرجام هي

حجارة ضحكهم ربما وضعت على القبر ليأس (٤) المؤذن (٥) يفرغ الانسان

وله ايضا

ضل الذي قال البلاد قديمة بالطبع كانت والأنام كنبتها  
وأمامنا يوم تقوم هجوده من بعد ابلاء العظام ورفقتها  
وهذان البيتان رد على الدهريين الذين يقولون ان العالم قديم  
بالطبع والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيما . بل  
هناك يوم تقوم فيه الموتى بعد ان بليت عظامهم وصارت رفاتا .  
وكذلك البيتان اللذان قبلهما يدلان على مقدار مقتته لاعتماد  
المخدين الدهريين الذين ينكرون البعث والنشور وانه لامعاد  
للخاق بعد الموت . حيث ابى ان يكون سيره عن اهله ذهابا  
بغير اياب اليهم كما هو رأى المخدين

وله من قصيدة يرثي اياه

ابى حكمت فيه الليالي ولم تزل رماح المنايا قادات على الطمن  
مضى طاهر الجمان والنفس والكبرى

وسهد المنى والجيب والذيل والردن

فيا ليت شمري هل يخف وقاره اذا صار احدى القيامة كالعهن (١)

(١) هذا اعتراف بقيام الساعة اشارة الى قوله تعالى « وتكون

الحيال كالعهن المنفوش » اي الصوف المندوف

وهل يرد الحوض الروي مبادراً

مع الناس ام يابى الزحام فيستأني

وقال ايضاً رايّاً

ولا تنسني في الحشر والحوض حوله

عصائب شتى بين غر الى بهم (١)

لعلك في يوم القيامة ذا كرى فتسأل ربي ان يخفف من اثمي

وقال ايضاً

لا ملك للملك المقصور (٢) نعمامه وكل ملك على الرحمن مقصور

مضت قرون وتمضى بعدنا أمم والسر خاف ان ينفخ الصور

وقال ايضاً

يكرموتانا الى الحشر ان قال لهم بارئهم كروا (٣)

يخلف منا آخر اولا كاننا السنبيل والبر

وقال ايضاً

(١) هذا مبني على قوله صلى الله عليه وسلم « يحشر امتي يوم

القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء » (٢) الملك المقصور هو عمر

ابن حنبل الاكبر وسمي المقصور لانه اقتصر به علم ملك ابيه

(٣) اي ارجعوا

بِحكمة خالتي طي ونشري وليس بمعجز الخلاق حشري

وقال ايضا

عودي (١) يخاف من الاحراق صاحبه

ان قال ربي لا جسم البلي عودي (٢)

حاشا لربك من اخلاف موعده وانما الخلف في قولي وو وعودي

وقال ايضا

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشرا لأجسادك اليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالحسار عليكمما (٣)

\*\*\*

فهل يجوز بعد هذه الاقوال الصريحة المملوءة اعترفا

بالبعث والنشور والمنفعة ورعا وتقى . ان يقول متجاهل بالحاده

وبعده عن الايمان وانكاره لما جاء به الدين الحنيف ؟

« كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا »

(١) اي جسمي (٢) اي ارجمي (٣) روى هذا المعنى عن علي

ابن ابي طالب . اذ قال لرجل يشك فيما جاءت به الرسل . « ان كان

الامر كما تقول من انه لا قيامة فقد نخلصنا جميعاً . وان كان الامر

كما تقول فقد نخلصنا وهاكت انت » فترك ذلك الرجل اعتقاده

## « تَمَّةُ البَحْثِ »

ان مجلس بني ثعلبة كان يومه كثير من طلاب العلم  
وافدين عليه من كل حدب رغبة في الاخذ عنه والتلمذة عليه .  
واذا نظرنا في طريقة تلقى العلوم في تلك العصور نجد ان  
الطلاب كانوا ملازمين لاساتذتهم في الغدوت والروحان .  
كثيري المعاشرة لهم . شديدي الالفة والافتداء بهم . وهذه حال  
لا مشاحة يتحقق معها الغرض من التلمذة باسمى غاياتها اذ  
يخرج الطالب متطبعا باخلاق استاذه وادابه . ناهجا نهجه في  
مذاهبه وآرائه . وهذه النتيجة هي خير ما يرجى من التلمذة  
على استاذ حكيم يتولى تهذيب النفوس وتقويم الاخلاق ونماء  
العقول والمدارك . وانفس ما يستفيده الانسان من مجالسة  
رجال العلم ومخالطة اهل الادب

على انه اذا كان ثمت داع الى تعميم رأى او مذهب  
فلا طريق أنجح في تحقيق هذا المأرب من نشره بين نشء  
ضموا الى حداثة العمر قرب العهد بالعلوم فيلقنون من المزايم  
والمبادئ ما شاء لدويرها ان يطبعوهم عليها ويصبغوهم بصبغتها  
حتى تتمكن من افئدتهم وتثبت في اذهانهم فلا يجيدون عنها

قاد ذرة

ذلك لانها تصادف احلاما خالية من تشعبات الآراء  
واختلاف المذاهب. ونفوسا مفضية بثقتها الى من تولوا تنمية  
البابها وتربيتها على ما توحى اليهم ذمهم ويطمئن اليه بالهم .  
متقبلة ما يقرره الاستاذ من المسائل بمحض الثقة به والاعتماد  
عليه بغير ما تفنيد ولا محاجة . وكذلك كان الطريق الى التأثير  
في الافهام والعقول في كل عصر وفي كل أمة

ولا عجب فالتلميذ بين يدي استاذه كاللوح امام المصور  
الماهر ينقش عليه ببراعته ما يشاء من الصور ويطلبه مع سلامة  
ذوقه بالالوان التي تكسبه بهي المناظر. وقد يتجلى هذا التمثيل تماما  
اذا كان شأن التلميذ مع معلمه المخالطة الكثيرة والمرافقة الدائمة.  
فان ذلك ادعى الى التأثير لا الاستاذ من قوة في البيان ومقدرة  
في الاقناع بالحجة الدامغة والبرهان الصحيح

ومع هذا فقد قدر للانسان ان يكون بطبيعته البشرية  
مفتورا على حب الاثرة برأيه وترجيحه على كل ما خالفه من  
الأفكار والمذاهب شغوبا بنشر مبادئه وظهورها بين الناس  
حتى يضم اليه فئة من الناس يشجعونه ويثبتون قدميه ويعاونونه

على تحقيق ما ينبغي من نشر تلك الافكار والمذاهب  
ولقد يدرك هذا المطلب اصحاب المذاهب المحدثه  
والافكار الجديدة ويجدون كثيرا من الناس مصدقين لما معهم  
من البيانات مؤيدين لما جاؤا به من المسائل . بل ومتفانين  
في نصرتهم وتمضيدهم ومتطوعين في الدفاع عنهم باموالهم  
وارواحهم . وقد يكون ذلك الأثر العظيم من مجرد اعلان  
آرائهم ومذاهبهم ونشرها بينهم بغير سابق معاشره لمخرجها  
الى حيز الوجود او خلطه بهم

فاذا تبين ذلك أصبح من المحتم المعقول ان الطلاب  
الذين تلقوا العلوم على ابي العلاء او من صاحبه كانوا على  
مبادئه وآرائه . ووقر في النفوس تمسكهم بمذهبه واعتقاده  
فانهم اولى الناس بالتأثير واقربهم الى الاخذ بهذه المذاهب  
بحكم ما بينهم من صلوات التلمذة او المصاحبة

غير انا اذا علمنا ان ابا زكريا التبريزي (١) و ابا الحسن بن  
همام (٢) وغيرهما كانوا من تلاميذه وان ابا القاسم التنوخي (٣)

والقاضي ابا الفتح (١) و ابا الطيب الطبري (٢) وغيرهم كانوا من اصحابه واصدقائه ولم يسمع من اي منهم غير ما نعرفهم عليه من الصلاح والتقوى فلا يتسرب اذن الى الافكار شك في ان ابا العلاء كان حقيقة « شيخا مكذوبا عليه » وانه كما قال الشيخ كمال الدين الزملاكي (٣) « جوهره جاءت الى الوجود وذهبت ولم يعرفها الا القليل »

أجل . انه لجوهره غفل عن ادراكها الكثير اذ لم يكن غرضه من قول الشعر وصوغ القصائد تنميق الفاظ وتجميلها . او انتقاء اساليب واحكام سبكها . او اظهار مقدرته في تماثل الاغراض وتناسق الفقر حتى يملك اعنة القلوب بشائق الفاظه ويسحر الالباب ببديع بيانه . بل كان في شعره مقررا مبادئ قصد بهارد شارد الأهواء وتقويم زيغ النفوس وداعيا الى

(١) ذكرت ترجمته (٢) هو ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن عمر الطبري القاضي كان ثقة ورعا محققا في علمه حسن الخلق صحيح المذهب وكان صديقا لابي العلاء النعري يكنه ويبتذلان الشعر (٣) هو محمد بن علي كمال الدين بن الزملاكي الانصاري الدمشقي كان فصحا مشرعا قوي العربية قد أنقها ذكاء صائب الفكرة يضرب بذكائه المثل . صحيح العقيدة . متمكنا في الشعر

التمسك بالفضيلة والتدبر بالحكمة بطرق سهلة المنال لطيفة  
المأخذ مصنوعة في قالب من الشعر .

ولما كان له ان يذهب مذهب غيره من الشعراء  
ويسلك طريقهم في جعل الشعر سلماً الى الاستجداء وسبيلاً  
الى الاسترفاد. فطالما استحوزت عليه الضائقات فلم يدر في خلقه  
ان يقصد يوماً وزيراً خطيراً او اميراً عظيماً او ملكاً قادراً يرفع  
اليه بحاجته مستظراً عطاياه مستظراً غيث جوده. بل كافح ما  
أحسق به من الهموم بالصبر والجلد معتمداً على نفسه في تفریح  
ما احتاط بها من الشدائد ونزل بها من الملل حيث قال

والموت أحسن بالنفس التي ألفت عز القناعة من ان تسأل القوتاً  
وكذلك النفوس العالية تأبى عليها كرامتها احتمال مذلة

السؤال وهو ان الاستمناح. فكان في ذاته فيلسوفاً مصلحاً قصد  
بارشاداته وتعاليمه محض الخير والهدى لبني الانسان اجمعين لا  
فرق في ذلك بين صغير او كبير امير او حقير شأن من صدق

النصح للناس وتوخي لهم مناهج الرشده والاصلاح  
وضع نفسه هذا الموضع فارتاد لها الاستقلال الفكري  
التام والحرية الشخصية الكاملة حتى لا يتسلط عليه جهول

عات يبطش بهما فلا يستطيع ابداء النصيح الخالص والحق البين.  
 ويفقده فائدتهما الطبيعية ونتائجهما الحسنة بماله من قوة او بأس او  
 بما أسدى اليه من الصنائع وأدر عليه من الهبات . ورأى السبيل  
 الى بلوغ هذا المقصد نبذ جانب الملوك والامراء فتنحى عنهم  
 مؤثرا الانفراد بنفسه والعزلة عن ان يكون من جلسائهم ورجال  
 بلاطهم بعيدا عما يجري في ساحتهم من الامور التي لا يرتاح  
 اليها خاطر شريف ترفع عن النقائص حيث قال

أما لأمير هذا المصراعقل      يقيم عن الطريق ذوي النجوم  
 فكم قطعوا السبيل على ضعيف      ولم يعفوا النساء من الهجوم  
 هم ناس ولو رُجموا استحقوا      بانهم شياطين الرجوم  
 اذا افتكر اللبيب رأى امورا      ترد الضاحكات الى الوجوم (١)

وقال ايضا

ومن يحمل حقوق الناس يوجد      لدى الاغراض كالفرس المعن (٢)  
 أتعجب من ملوك الارض أمسوا      للذات النفوس عبيد قن (٣)  
 فان دانيتهم لم تعد ظلنا      ومنا في الامور بغير من

(١) الحزن والغم (٢) اي الذي جعل له عنان (٣) القن بكر  
 القاف العبد اذا ملك هو وابواه يستوي فيد الانسان والجمع والمؤنث

عرف ابو العلاء هذه الحقيقة وأدرك كنهها فابتعد عنهم بقدر  
اقترابها من مخيلته واختارها في ضميره واجتنب ناهيتهم سائرا  
في طريقه التي خطها لنفسه بزجر من غلا في جهالته وعمه في  
طغيانه وردع من لج في غوايته وخاض في غروره كائنا من  
كان . معتبرا في ذلك مبدأه القائل

فازجر النفس اذا ما أسرفت فمتى لم يقصص الظفر كلم (١)  
وان احق الناس بالزجر ملك او امير تزعت نفسه الى اتباع  
هواها وركوب متن عتيها وسلوك خطط النكر والفحش  
على النهج الذي وصفه ابو العلاء . فان القابضين على ازمة  
الامور المتحكمين في رقاب العباد اذا سلكوا طرق  
التعسف وضلوا سبيل الحكمة والعدل واتبعوا في حكم الناس  
ارادتهم المطلقة وهواهم الذي لا يقف عند حد كانت مغبة  
ذلك شرا ونكالا عليهم وعلى الذين تمسوا بالوقوع في مخالبتهم  
والاثمار باوامرهم

وان شرارة وقعت بواد لتحرق وحدها سمرا بشرح (٢)

(١) اي حرج (٢) السمير بفتح السين وضم الهم نوع من الشجر

وشرح اسم واد يوجد فيه ذلك الشجر

لذلك حقت عليهم مراقبة الامة جميعها حتى لا تقاد ان المهالك  
وتساق الى المخاطر كالانعام بغير مناعضة او تخلف عن طريق  
اقل ما تلاقى فيه المطب والفناء . ومن هذا تطرق ابو العلاء  
الى احقية تولى الناس تدير مصالحهم بانفسهم وادارة شؤونهم  
بذاتهم حيث قال

أن ا كاتم فضلا وانفقتم فضلا فلا يدخان وال عليكم  
لا تولوا أموركم ايدي الناس من اذا ردت الامور اليكم  
فوارحمنا عليه اذ قرر في القرن الحادي عشر مبدأ حقا  
تشراب أعناقنا اليه في القرن العشرين وتهافت نفوسنا على  
نيله بل ونتقاتل على الوصول اليه . ذلك هو حكم الامة نفسها  
بنفسها متى أحست بضرورة توليها زمام امورها وشعرت  
بوجوب اداها بذاتها حتى لا تدع امورها لمن لا يحسن تسييرها  
فيعبث بها حسبما توجه اليه غايته وتقوده . نظامه . فان  
الانسان دون سواه هو الخبير بادوائه وطرق برئه منها العليم بموضع  
الضعف من احواله . الفيور على مصالحه وشؤونه . فاذا ما تسلم  
ازمتها توخي النفع لبني جلدته وذويه قبل ان يفكر في ايصاله  
لنفسه فتكون صلة الخاكم بالناس صلة مودة وقربى اساسها

التضامن والجري على ما فيه الخير العام . لا صلة حاكم اجنبي  
جبار مطلق التصرف بمحكوم ضعيف . محورها الجور والغلظة  
ورائدتها الظلم والمعاملة العشوية لا يهه سعد هذا المحكوم  
التمس ام شقي

وبديهي أن المجاهرة بهذه الافكار في تلك الازمان  
مجازفة تحف النفس بالمخاطر والخاوف وتعرضها لان ينال منها  
بكل الوسائل حتى ايشلم الانسان في سمعته وشرفه . ويتهم في  
عقيدته ودينه . بما يختلقه خصومه عليه من المنكرات والنقائص  
تخفيضاً من شأنه وخطا من قدره لكي لا يكون لنقده وارشاده  
تأثير على النفوس وأخذ بالمشاعر والحواس . ويكون ذلك اقل  
ما يلاقه من يسلك هذه الطريق

وما كانت تلك المخاطرة والمخاتقات بمقدمة ابي العلاء عن  
موالاة التعريض بمن ضل عن الحق من الرؤساء والحكام او  
عبث بما اوتمن عليه من المصالح . فلم ينفك عن ذمهم في كثير  
من اشعاره لا لسخيمة في نفسه ولا لمنفعة شخصية يجنيها من وراء  
ذلك بل لمحض الاصلاح والمنفعة العامة واليك بعض من اقواله  
وجدت الناس في هرج ومرج غواة بين معتزل ومرج

فشأن ملوكهم عزف ونزف (١) واصحاب الامور جباة خرج  
 وهم زعيمهم انهاب مال حرام النهب او اجلال فرج  
 غدا المصفور للبازي اميرا واصبح ثعلبا ضرغام ترج (٢)  
 وله أيضا

ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان  
 من ليس يحفل خصم (٣) الناس كلهم  
 ان بات يشرب خمر وهو مبطان (٤)  
 فأثارت هذه الاقوال سخطا شديدا عليه من جانب الملوك والامراء  
 حيث فضح بها خافي أمورهم وأظهر مكنوم اسرارهم فكانت  
 حقيقة مرة صعب عليهم تجرعها بالصمت والسكون . فجعلوا  
 يتحفزون له بالوقية ويتأهبون للقضاء عليه وهو مع ذلك لم  
 يتوجس خيفة من مكابدهم ولم يرجع عن نظم مثل هذه الاقوال  
 فيهم تأييدا لمن حاد منهم عن الطريق السوى او اتى امرا شائنا

(١) العزف من آلات الملاهي كالعود والظنبور وجمعه معازف  
 والنزف مصدر نزف الرجل اذا سكر (٢) الترج موضع كثير الاسود  
 (٣) الخمص الجوع ورجل خصان وخبص الحشا اي ضامر  
 (٤) البطى المبطان الذي لا يزال ضخم البطن من كثرة الاكل

يستوجب التقرير . ولم يقتصر في ذلك على اولى الامر فقط بل اشرك معهم نصراءهم على تلك الافعال ومزينيها لهم . ألا وهم الشعراء الذين هم في نظره اس البلية واصل الداء فقال  
 مل المقام فكم اعاشر أمة امرت بغير صلاحها امراؤها  
 ظلموا الرعية واستجازوا (١) كيدها

فعدوا (٢) مصالحها وهم اجراؤها (٣)  
 فرقا شعرت بانها لا تقتني خيرا وان شرارها شعراؤها  
 وعلى ذلك فاني ارجح كثيرا ان الذي وسع دائرة آتاهم ابي  
 العلاء بالمروق عن الدين والحيد عنه هو ذمه الامراء والملوك  
 الذين ضلوا الصراط المستقيم وسعوا الى المعوج والتشهير بهم  
 واعلان سوءاتهم على رؤوس الاشهاد واشراك من لاذ بهم  
 من الشعراء في هذا المقت والارذال اذ لا يعلم من اولئك  
 الشعراء من يسلط عليه فيتفرد لتقصيد القصائد هجوا فيه وتلفيق  
 الاخبار ازالا من قدره وتسويًا اسمته والصابق التهم الباطلة  
 به متذرعًا بذلك الى التمليق لاوئى الامر والتقرب منهم فلا  
 يرعى في بغيه حرمة للصدق والحق . وكذلك النفوس الدنيئة

تسير مع الالهواء والاغراض اذا اغدقت باحسان ذويها وبرهم  
فتبيع ذمها بئس بنحس لا يلبث ان تظهره الايام زائفاً مغشوشا  
« وليئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون »

ولا جرم فقد خص الله هذا الفريق من الشعراء بالحق  
لهيامهم في وديان الغواية وتركهم سبل الصدق من القول كما  
اجزل المثوبة لامثال ابي العلاء الذين تحروا الحقيقة في شعرهم  
وجعلوه ايقاظا للمتوسن وتنبها للغافل . فقال تعالى  
« هل انبشكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افكاثيم يلقون »  
« السمع واكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في »  
« كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا  
« وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا  
« وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون »

ومهما اراد المبطلون المرجفون ان يخفوا الحق فانه لا  
يلبث ان يظهر مهما طال عليه العهد والقدم ولا يعدم انصارا في  
كل عصر يحقونه ويزهقون الباطل . فقد ألف صاحب كمال  
الدين بن العديم (١) رحمه الله في مناقب ابي العلاء كتابا ذكر

فيه محاسنه وفضائله وقال فيه « ان سائر ما في ديوانه من  
الاشعار الموهمة فهي اما مكذوبة عليه او هي مأولة كما أولوا  
كلام ( الحلاج ) ( ١ ) وكلام ( بن عربي ) ( ٢ ) وغيرها من  
الصوفية . ووضع الحافظ ابو طاهر السلفي ( ٣ ) كتابا في  
اخباره ضمنه حسن الظن به وصحة عقيدته . وقال فيه  
« انه رثاه عند قبره يوم وفاته اربعة وثمانون شاعرا منهم فقهاء  
ومنهم محدثون ومنهم صوفية » وذكر اسماء كثير منهم

( ١ ) هو ابو الغيث الحسين بن منصور الزاهد المشهور من اهل  
البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق . لقب بالحلاج لانه  
جلس على حنوت حلاج واستقضاء شغلا فقال الحلاج « انا مشغول  
باحياج » فقال له « امض في شغلي حتى احاج عنك » فمضى الحلاج  
وتركه ولمساعد رأى قطة جميعه مخلوجا . وتوفى يوم الثلاثاء لسبع  
بقيين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ . مقتولا بامر الامام المقتدر لانه  
عنده بالكفر والتقول عليه بما اوجب الافناء باباحة دمه

( ٢ ) هو القاضي ابو بكر محيي الدين بن العربي ولد بمرسية في يوم الاثنين  
سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ صاحب التصانيف في التصوف وغيره وكان  
شاعرا متفطنا . كان انتقاله مع والده من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨  
فاقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق ودخل مصر واقام  
بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم وتوفى بدمشق في  
٢٨ من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ ( ٣ ) مرت ترجمته

ولقد قرر الصاحب ( بن العديم ) الحقيقة بعينها باعتبار ما نسب الى ابي العلاء من اشعار المحدثين اما مكذوبة او مأولة عليه . وأحسن ( السلفي ) في جعل المرثي التي القيت على قبر ابي العلاء يوم وفاته دليلا على حسن ثقة الرائيين به واعتقادهم الخير والصلاح فيه . ولولا ذلك لما عطف عليه في حياته امثال هؤلاء الاعلام . ولما ألم بهم الحزن والأسى في مماته . ولما سموا الى قبره مكتئين رائين

على انه اذا كان لم يتعرض للدفاع عن ابي العلاء اورثاته الا من هم اثبت الناس ايمانا واشدهم تمسكا بالحق وأطهرهم ذيلا في امور دينهم لتأكدنا انهم كانوا عند حسن ظنهم به وثقتهم بصحة دينه وانه حقيق بان يحسب في زمرة الفلاسفة الزاهدين والحكماء الصالحين بما له من آثار حميدة وحكم غالية ومبادئ سامية أرشدت الى جليل عمله ودلت على واسع فضله مما يجب على الناشئة في هذا العصر ان يهتدوا بهديها ويسترشدوا بحكيم آرائها ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،